الأحمقُ وقصصٌ مُختَصرة
حلمي صابر ربيع الأول 1443هـ

---

(1)
فرح وراء خوف
أراد سعود أن يأخذ كتابا من الرف الثالث، ولم ينتبه؛ فجاء مرفقه على المزهرية، فسقطت وانكسرت. رآها قطعا منتثرة على الأرض، وتناثر قلقه معها في كل جزء من جسده. وصل النبضُ حنجرته من الخوف. تساءل ماذا أقول له ؟!. لم يمضِ تفكيره طويلا إلا بدخول والده !. تأمل والده في القطع المتناثرة، صمتَ لحظة، أغلقَ فاه، وضمَّ شفتيه، ونظر إلى سعود ورفعَه وضمَّه وضحِك كثيرا. قال سعود في نفسه أصيب الوالد بهستيريا من جرَّاء هذه المزهرية الغالية المتناثرة التي عاشت معه أربعين عاما. أخذه والده وقبَّله. عشرون سنة مضت وأنا أبحث عن خاتم والدي رحمه الله. خبأته في المزهرية ونسيت. تناول الأب الخاتم من الأرض، انظر يا سعود خاتم جدك رحمه الله.
اختفى خوف سعود؛ ما ظنَّه حزنا ، كان هو الفرح. وما كان رعبا، كان فيه الأمن.

(2)
ضياع
قلت لك يا جنيفر بأن جسيكا مشاعة للجميع. واصلت جوزفين الشقراء حديثها مع صديقتها جنيفر ذات الشعر الكستنائي. كانتا جالستان في بار شارع شارلي الأول. ملأت رائحة السجائر البار كله وفعلت كاسات الخمور فعلتها فيهم. أجابتها جسيكا أعرف هذا ثم علقت على حديثها: كلنا يا جوزفين جسد مشاع للجميع لكن باختيارنا، أما جسيكا قتلتها فلسفتها عن اللذة . هذا عصرنا وعلينا أن نعيشه بصحته ومرضه. هذا الذي كانت تقوله.

لكنني صرت أشعر مؤخرا بأن فلسفتها هذه بدأت تتغير خاصة وأن بعض شعرها بدأ يمشي عليه الشيب. هؤلاء الرجال يريدون المرأة شابة طول عمرها. اقترب منهما روبرت ابتسمت جوزفين عند رؤيته. ابتسم روبرت سأشرككما. هل تحبين كأسا من الشمبانيا أو النبيذ. شكرته جوزفين شربتُ بما فيه الكفاية. واصلتا حديثهما: بدأت أفقد الإيمان بكل شيء. صرت ضائعة في عالم الأفكار وضاع جسمي وعقلي معه. صارت جنيفر أكثر انتباها وروبرت حاول أن يستوعب الحديث ليشاركهما، ولا يهمه المشاركة؛ فلعله يحظى بإحداهما رفيقة لليلة.

هل ضعتِ مرة يا جنيفر في نيويورك ؟ ضحكتْ لا، لا لم يحدثْ ذلك أبدا. بعض الأحيان وأنا أقود سيارتي أفقدُ الاتجاهات ولا أعلم أين أنا للحظات، لكنني أواصل طريقي حتى ترجع إليَّ ذاكرتي. صرتُ أخاف من الزهايمر ولا زلت في الثلاثينات. قدَّم روبرت سيجارة إلى جوزفين. أخذتها وأشعلتها بولاعتها. شكرا روبرت كم أنت لطيف ، لكنك هناك مجنون. فلا تذهب أحلامك بعيدا ضحك الثلاثة. صدقيني يا جنيفر إنه مجنون انتبهي أحذرك من مرافقته. ثم هو ملحد فليس هناك قيود ولا حدود، كل شيء عنده بلا قيم بلا صواب أو خطأ. فتصوري جسدك بين يدي ملحد. عيناه كعيني صقر وأنتِ فريسته. يأكلك ثم يرميك.

تابعت جوزفين حديثها: لا أشعرُ بسكينة في داخلي. أفقدُ الطمأنينة في حياتي. الضياعُ في نيويورك أسهل من الضياع في عالم الأفكار. تصدقي يا جنيفر هربتُ من بيت أهلي طلبا للحرية. واليوم شعرت بالأسى لأنني فعلت ذلك. هربتُ لأجل اللذة والمتعة. حتى صرت نفسي لعبة تلعب بنفسها، أو يلعب بي آخرون. وكثير ممن لاقيت وتعرفت كنت عندهم شهوة قصيرة.

كنت أحلم ببيت وأطفال. ردَّ روبرت: ممكن لحلمك أن يتحقق ما الذي يمنعك من ذلك ؟!. نظرتْ إليه جوزفين صمتتْ للحظة، أخذتْ رشفة جديدة من كأسها، ترددتْ هل تدفعه إلى جوفها مرة واحدة. ليس بمقدوري دفع دولارات لكأس جديد.فاكتفت برشفة. هل تتزوجني يا روبرت ؟ نعم أتزوجك لليلة واحدة ثم أنت طلقيني.
ضحك الجميع كضحكِ كل ليلة، ومضى العمر بضحك متألم.

(3)

المرأة الجديدة

ماذا سأطبخُ اليوم؟ سألت مريم نفسها بعدما ألبست ابنتها ريم مريولها المدرسي. سأجيء اليوم إلى مدرستك لأقابل المرشدة الطلابية صارت حركتك كثيرة يا ريموني. جننتيهم كما تجيننني. هل سيجيء بابا معك ؟ بابا سيكون في العمل يا حبيبتي. واصلت مريم التفكير: عليَّ أن اذهب بعد المغرب إلى محل الستائر لأغير القماش.

كل شيء فوق رأسي من تعبئة الثلاجة إلى البيت إلى مريم؛ صرت أكره هذه الحياة اليومية. نوم، صحو، أطفال، عمل، طبخ غداء، ترتيب البيت، عشاء، نوم. كل يوم هكذا !. قالت المرشدة: اقترح عليك بأخذ ريم إلى طبيب لفحص الغدد أو الأدرينالين في دمها؛ لأن نشاطها غير طبيعي كل المعلمات يشتكين منها. سألت الأم نفسها وهي ساهية مع المرشدة: ومن يفحص حياتي أنا ؟!. شكرا سأفعل بنصيحتك.

(4)

ملل في التعليم

دخل سامي الفصل في بداية العام الدراسي الجديد، أدار عينيه في الفصل؛ عساه أن يجد أحدا يعرفه من طلاب الحارة أو من الفصل الماضي. لم يجد أحدا فجلس بجانب الجدار الطاولة الثالثة، لم يعجبه مكانه؛ لم تكن طاولته كطاولة سعيد التي تطل على فناء المدرسة. أمضى سعيد وقته في مراقبة الطلاب في الفناء وعدِّ العصافير.

قال سامي لنفسه: ليت عندي أزرار تحكم بليستيشن؛ لأوقف المعلم عن الشرح واجعله صامتا لا يتحرك ولا يتكلم. مللتُ هذا التعليم.

التفتَ سعيد إليه، وضغطَ بأصابعه كما يفعلُ بِأزرار البليستيشن. ابتسم الاثنان. هذا الذي كان مُسلِّيا. رجع سعيد إلى مراقبةِ الفناء. وأدخلَ سامي رأسه بين يديه على الطاولة ولم يصدر منه شخيرا.

(5)

نظر بشم

وقفت نورة أمام المرآة، تأملتْ شعرها. استدارت يمنة ويسرة لترى عليها فستانها الضيق الجديد. صِرتُ أراهم ينظرون إليَّ بنظرة إعجاب. خلعت فستانها وصارت تنظر إلى جسدها بنظرة جمالية أكثر! أكلت البارِحة من مطعمٍ في شارع شمس بدران. ربما كان الطعام فاسدا. تحرَّك بطنها؛ فرَّتْ إلى دورة المياه مسرعةً. قبل وصولها، أفرغتْ ما في بطنها في ثيابها الداخلية، ملأت الرائحة الكريهة غرفتها. ضاعَ جمالها في رائحتها السائلية.

(6)

الحلا

تعجَّبَ من شربي القهوة السوداء بحلا !

فحاجني: هذا أنت تشرب القهوة العربية مُرَّةً؛ محاججا دون حلا !

قلت يا هذا: العربيةُ عليها هو الحلا.

(7)

في مادة الجغرافيا

في حصة الجغرافيا. أحضرَ المعلم معه نماذج صغيرة من قطع اسفنجية لشرح درس قارات العالم، وبعد أن انتصف شرحه. رفعَ أحدُ الطلابِ يده سائلا: أستاذ جعفر ؟ نعم يا إدريس. المفروض ألا تكون قطع قارات العالم في الخريطة جنبا إلى جنب.

المعلم: وكيف تكون يا عالم زمانك ؟

الطالب إدريس: تكون كالواقع الذي نعيش فيه ؟

المعلم: وما هو الواقع يا عبقري ؟
إدريس: أن تضع القارات فوق بعضها البعض.
ضِحك الطلاب.
المعلم: يا ولدي لا تودِّينا في داهية. إذا درسَتَ الجغرافيا السياسية في الجامعة، تصيرُ القارات فوق بعضها البعض. في الجغرافيا الابتدائية يا زول؛ القارات بجانب بعضها.

(8)
زيتونة العينين



ولونُ عينيها، لون شاطئ بحر. والقمرُ مُقمِرٌ . نزلَ عندها وقال لها: معذرة جلستُ في مكانكِ. ثم نظرتْ إلى زوجها وهي مسترخية، وقالتْ: لا يهمني أين أكون، الأهم أن أكونَ معك. وردَّ عليها باسما: وأنتِ معي.

(9)
حنان أب وقسوة ولد
يدك خشنة عم إبراهيم ؟!
ابتسمَ، اشتغلتُ وعمري ثمان سنوات. اشتغلتُ في كل شيء، في الأسمنت في الرمل في السيارات في الناقلات حتى صار ليس في البلد بعدي ثري.
ابتسمتُ: قلتُ أولادك أياديهم في البلد الأنعم؛ ما رأوا مثل ما رأيتَ.
قال لي: لكن انظر ليس أحدُهم معي في المسجد؛ تسندني عصاتي ويأخذني خادمي وسائقي. هل تظنُ بأنني ربحتُ المال وخسرتُ ولدي !. سيكبرون يوما، وسيعلمون حسرتي؛ بأنني في المسجد لوحدي ليس أحدٌ منهم معي.
يا ولدي: المال ليس كل شيء. الناس ثروة وأنت يا صاحب المسجد بها ثريا غنيٌ.
واصل حديثه العم إبراهيم: في عمري من يريدني ؟!. صِرتُ أنسى، وإذا تذكرتُ، نسيتُ من ذكرَّني، وتذكرتُ من نسيني. فلينعمْ أولادي بخشونتي، ولتكن أياديهم قطنا حريرا بنعومةٍ. هذا ثمنٌ عليَّ دفعُه لمن تاجرَ في المال مثل تجارتي. أنتَ متواضع جدا يا عم إبراهيم!. لأنني يا ولدي نحن نعرف أين كُنَّا وأين صِرنا؛ فالمالُ لمْ يلوِّثني.

(10)
القانون الجديد
قال القاضي للخطيب: حذرتك مرارا، لا خطب عن الأغاني والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحجاب والغلاء والضرائب وحبس الدعاة. ألم أحذرك !
الخطيب: لم أخطب يا حضرة القاضي عن ذلك.
القاضي : عمَّ خطبت ؟
الخطيب: عن الصهيونية والجهاد الفلسطيني
القاضي: مصيبتك مصيبة !
الخطيب: لكنني يا حضرة القاضي دافعتُ عن التطبيع وذممتُ الجهاد لمحاربته التطبيع.
القاضي: اخرج؛ براءة !.

(11)
شِواء
قال أحمد لدانيال الأوروبي زميله في العمل: إنكم تشوون الناس عندكم بأفكار الحرية.
التفت إليه دانيال ضاحكا: أنتم تشوون الإنسان نفسه.

(12)
اشتراكي كذاب
شعر كروموزف بأمر غريب يجري مع جاره البولندي كمرينوف الذي يصر على الشيوعية الاشتراكية. يقرض كمرينوف أصحابه بفوائد ويتصدق على الكنيسة المجاورة. وعرف كروموزف مؤخرا بأن لكمرينوف مصنعا للسيارات في ألمانيا والسويد. ردد كمرينوف أخيرا: المواطن غير الإنسان. هما شخصان مختلفان. كمرينوف اشتراكي حتى النخاع، لكنه في مصنع السيارات رأسماليا. غير مبدأه لاحقا: ممكن أن تكون اشتراكيا ورأسماليا في نفس الوقت. كل شيء في الشيوعية صحيح. حتى الانقلاب على الاشتراكية.

(13)
غبار ورماد
زارت إليزابيث في جولتها السياحية مصرَ، شاهدت أبا الهول وعجائب الفراعنة. بهرها تاريخهم، وسفنهم، وصنيعهم. الذي بهرني: هو انتخابها في الانتخابات الرئاسية. الفرعون. هي رأت التاريخ، لكنها لم تبصره، وسمعت صمت التاريخ المتكلم، لكنها لم تنصته.
مرَّ بك التاريخ، هل كان لك فيه تاريخ ؟.
وقعتْ صورةٌ على الأرض، حاولتُ جاهدا رفعها؛ مفاصلي وعظامي ليست طوعِي. عمري قريبا من الثمانين. رفعتُ الصورة بعناءٍ. كانت صورتي في الخامسة أبدو مهرولا مع المهرولين. نظرت في المرآة، ووضعتُ صورتي بجانب شكلي في المرآة. طرحتُ هذه من هذه، صار الناتجُ من عمري خمسا وسبعين.
عادت إليزابيث بعد حين إلى مصرَ؛ لترى فراعنة التاريخ الغابرين والمعاصرين. كان على عينيها نظارة شمسية، عدستها داكنةٌ بنيةٌ؛ فلم تر حقيقةَ ألوان التاريخ: الرماد والغبار.

(14)
الأحمق
أوقف عامر حارس السجن السياسي شخصا قادما بسيارته الصغيرة البيضاء عند البوابة.
عامر: نعم ماذا تريد ، هل عندك موعد ؟ هاتِ البطاقة.
السائق: لا ليس عندي موعد. تفضل هذه البطاقة.
دار عامر حول السيارة مع الكلب " ثندر " الخبير بشم المتفجرات ، وعاد إلى السائق: حسنا ماذا تريد ؟
السائق: مررتُ بمطعمٍ وأحضرتُ ثلاثين رغيفا مع كبدة وفلافل للمساجين.
عامر: أنت صاحي أو مجنون ؟!.
السائق: عفوا. صاحي طبعا !
عامر: أحضرت فطورا للمساجين! . الأفضل لك أن تمشي قبل أن أنادي عليك ليقبض عليك. وقوفك هنا بحد ذاته جريمة. يبدو عليك بأنك أحمق أكثرُ من اللازم. لا يكون فطورك مسمم ؟!.
السائق: ما مسمم الله يهديك ! انظر سآخذ لقمةً من كلِ صحنٍ لتطمئن.
عامر: يا ابن الحلال أنت صاحي أو مجنون !. هذا السجن السياسي. تعرف ما معنى السجن السياسي ؟
السائق: كل البلد سجن سياسي، هنا المكان أصغر فقط. قال السائق ليهرب من عبارته الأخيرة: ما رأيك خذ الفطور ووزعه على الجنود لا على المساجين.
حدَّث عامر نفسه: فعلا الناس أصابها الجنون هذه الأيام متبرع بالفطور للسجن السياسي. أخرجَ عامر من الكيس صحنَ فولٍ مع بعض الحباتِ من الفلافل وشَرَعَ في الأكل. فعلا الناس أصابها الجنون. ليته أحضر زيتا للفول، ولم يحضرْ الحُمص. يظننا في جمعية خيرية !؟. فعلا هذا الفول لذيذ، ليتني سألته عن محل الفلافل.

بعد شهر جاء السائق مرة أخرى بطعام جديد: برياني وكشري للمساجين؛ فقبضوا عليه وحكموا عليه أربع سنوات بتهمة التبرع بلا إذن.
الظريف أنهم نقلوا الجندي عامر من الحراسة إلى قسم التحقيق. فاندهش من رؤية السائق.
أهلا وسهلا بصاحب الفطور.
ربطه وعلَّقه في أعلى الجدار بعد ضرب الفلكة. ثم صار يرشه بالماء البارد ويضرب ظهره بالسوط
اعترف من صاحب الفلافل ؟
اعترف من صاحب الفول ؟
اعترف من صاحب البرياني ؟
اعترف من صاحب الكشري ؟
رفسه برجله، وبقدمه دعس بطنه.
السائق: صاحب المطعمِ، صاحبي ابن الوزير. وزير السجن. اشتريتُ منه لأربحه.
الجندي عامر: أحضرتَ طعاما من مطعم ابن الوزير !. ما أعظم جريمتك ! صِرتَ تأكلُ من السياسة أيضا.
واصل عامر والمحقق التعذيب والتحقيق. أجِب : هل الفلافل كشري ؟!
أجاب المتبرع: الفلافل فلافل. بعد مزيد من الضرب، قال السائق: لا ادري هل هي فلافل أم فولا أم كشري !.
واصلوا التعذيب، وأضافوا الصعق الكهربي.
سأل المحققُ الجندي: هل اعترفْ ؟
الجندي: نعم اعترفَ بأن الفلافل كشري. وأن الفول كشري، حتى الزيت قال عنه كشري.
حتى أنه قال عن الوزير بأنه ليس إنسانا بل كشري. أحسنتَ يا جندي؛ هذا فنُ التحقيق، ولك مزيدا من شكري.
هاتِ الفلافل يا عامر إني جائعٌ ؟ تفضلْ سيدي: كأنها حبات لؤلؤِ من مطعم لبناني مصري دمشقي.
المتبرع متحسرا: محبوسون، مظلومون في زمن التحقيق: صارتْ فيه الفلافلُ كشري.

(15)
بلا قمر
وإن خلتْ كلُ ليلة من قمرٍ
فكل ليلةٍ،
أنتِ فيها القمرُ.
وإذا ظهرَ قمرُ السماء في زاويتين ووسطٍ
نادى القمرُ القمرَ:
لم أكن معكِ منصفٌ بأخذ وسَطِكِ
كجمالكِ على البشر، كان غير منصفِ.

(16)
سفسطة لا شيء
سألهُ مُفكرٍّا: ما معنى لا شيء ؟ كيف ستكتبها ؟.
صاحبه: سأتركها فراغا.
السائل: الورقة بيضاء شي؛ وكتابتك شيء، فكتابتك لن تكون لا شيء. !.
نظر إليه ساخطا: هذه لعنة من قرأ في الفلسفة، صار مثلك فارغا كلا شيء.
ردَّ المفكر مستنكرا: ألم تسمعني ؟ ما هو أللاشيء ؟
دعا صاحبه: تظن نفسك شيئا، وأنت لا شيء !. ثم أكمل : خذ الورقة البيضاء، وابلعها فهي لا شيء.
قَصَمَ الله ظهرَ السفسطةِ التي صيرتك مفكرا بلا شيء .

(أخيرا)
لسعُ النحل

فتاة عربية بهيئة غربية. شعر في الهواء بلا غطاء، والوجه مائدة لمن شاء.
مشت في المطار لوحدها في ساعة متأخرة من الليل، التفتت يمينا وشمالا، ثم نظرت في جوالها. لم يكن في استقبالها أحد !.
سمعتُ عتابها: ما جئتَ تستقبلني !
قال لها: ليتكُ ما جئتي.
فتعجبتْ نظرةٌ مُعْجَبةٌ من نظرةٍ كارهةٍ.
قال صاحبه لصاحبهما في صالة الانتظار: هي بارعةُ الجمالِ، لكنها قبيحةُ الخِلال.
واصل صاحبه حديثه: اصرفْ عينيك، وانصتْ بأذنيك.
ولو كنتَ مكانه، لربما فررتَ ووليتَ وإنْ غطَّى جمالها عليك.

ردَّ صاحبه: لا يا صاحبي، لا يعالج الخللُ بخلل.
فليس الكريم كريما، إذا أُحسنِت الأخلاقُ معه ،
بل الكريمُ، تحسنُ أخلاقهُ إذا أسيء إليه.

ألم يقل في بداية زواجه: إنها كالعَسَل،
فهل يسلمُ صاحبُ العسلِ من لسعة نحل.

انتهى